# فرائد ألفاظ الحيوانات في القرآن الكريم: دراسة في الإعجاز اللغويّ والبيانيّ

# Farā'id Alfāẓ al-Ḥayawānāt fī Al-Qur'ān Al-Karīm: Dirāsah fī al-I'jāz al-Lugawi wa al-Bayāni

**Elsayed Mohamed Salem Alawadi[1]**
**Kamal Abdel Aziz Ibrahim[2]**
**Rijal Mahdi[3]**

**[1]Universiti Sultan Zainal Abidin, Malaysia**
**[2]Fayoum University, Egypt**
**[3]Institut Agama Islam Negeri Syekh Nurjati, Indonesia**

Corresponding author email:
rijal_mahdi0123@syekhnurjati.ac.id

**DOI: 10.18196/mht.v4i2.11532**

الملخص

للقرآن وجوه إعجاز كثيرة كثُر الكلام حولها قديمًا وحديثا؛ تتعلق بالنواحي البيانية واللغوية، ويأتي هذا البحث حلقة من من هذه الحلقات التي تكشف سر تفرد ألفاظ القرآن الكريم عامة وفرائد ألفاظه منها بصفة خاصة، والتي جاءت على نحو غير مسبوق ونُظِّمت بطريق غير مكرر بين ثنايا آياته، فتميزت وتفردت كونها لم تكرر، حتى جذرها كذلك؛ فاتسقت بروعة عرضها وانتظمت في سياقها، في نظام لغوي محكم من لدن حكيم خبير، وليكون البحث محددًا اقتصر فقط من ألفاظ هذه الفرائد على فرائد ألفاظ الحيوانات والحشرات التي وردت في القرآن كله، مستعينًا بالمنهج التكاملي الذي يمزج بين المنهج التاريخي الذي يتتبّع الظاهرة في أصل نشأتها، ومن أول من أطلقها واستعملها مرورًا بها عبر الأزمنة إلى ما استقرت عليه الآن، والمنهج التحليلي اللغوي والذي يفيد في تحليل الكلمات لغويًا لإدراك المعنى، ثم المنهج الوصفي والذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها، ثم بيان هذا التفرد، وآثاره البلاغية، وقيمته الجمالية. وسره البياني يعتبر عملاً فنيًا خالصًا ينطوي تحت المنهج الفني. وعليه جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث رئيسة وخاتمة مشفوعة بمصادر ومراجع البحث؛ فالأول منها: تعريف الفرائد لغةً واصطلاحًا، والثاني: الفرائد في التراث النقدي والبلاغي، والثالث: فرائد الحيوانات والحشرات في القرآن. ولعلنا بهذا نضيف التفاتة جديدة للدراسات القرآنية، وفاءً للقرآن، وإثراءً للغته.

كلمات مفتاحية: فرائد، إعجاز، حيوانات، حشرات، الفذة

*Abstract*

The Qur'an has many miraculous aspects, about which there has been much talk in the past and the present. It is related to the rhetorical and linguistic aspects, and

this research comes as one of these episodes that reveal the secret of the uniqueness of the words of the Holy Qur'an in general and the uniqueness of its words in particular, which came in an unprecedented manner and was organized in a non-repetitive way between the folds of its verses, so it was distinguished and unique in that it was not repeated, even its root as well. So it was consistent with the splendor of its presentation and organized in its context, in a tight linguistic system from a wise expert, and to be specific, the research was limited only to the unique words of animals and insects that were mentioned in the entire Qur'an, using the integrative approach that mixes the historical method that traces the phenomenon to the origin of its origin, and from the first to launch it and use it through the times to what it has now settled, and the linguistic analytical method, which is useful in analyzing words linguistically to understand the meaning, then the descriptive method, which monitors the characteristics of the phenomenon and its features, then clarifying this uniqueness, its rhetorical effects, and its aesthetic value. Its graphic secret is a purely artistic work that falls under the artistic method. Accordingly, the study came in three main sections and a conclusion, accompanied by the sources and references of the research. The first of them: the definition of the uniques linguistically and idiomatically, the second: the uniqueness in the critical and rhetorical heritage, and the third: the uniqueness of animals and insects in the Qur'an. Perhaps with this we add a new twist to Qur'anic studies, in fulfillment of the Qur'an, and in enriching its language.
***Keywords:*** uniqueness, miraculousness, animals, insects, inimitable

**المقدمة**

إن للأسلوب القرآني جمالاً يخاطب العقل في أرقى عملياته الفكرية والادراكية (Makhluf 2016, 212) لن تلمسه في غيره من الكتب السماوية الأخرى، ولا حتى في أي نتاج بشري لفحول الشعراء والأدباء، وأولئك الذين اشتهروا بتملك زمام اللغة والتمكن والتصرف في أساليبها؛ لأن القرآن من أوله إلى آخره يجري على نظام بديع من السموّ في دقة الصياغة وجمال اللفظ، وعمق المعنى، وروعة التعبير، رغم تنقله بين قضايا شتى، وموضوعات متنوعة، ومواقف متباينة؛ إضافةً إلى ذلك ما اتسمت به اللفظة القرآنية من اتساقها الكامل مع المعنى، وجمال وقعها في السمع، واتساع دلالتها ومعانيها لما لا تتسع له -عادةً- دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والكلمات أو ما يسمى بعلم التناسب (Ali 2021, 10) أو غيرها العلوم المتصلة بجماليات الأسلوب القرآني. وتلك حقيقة لا مراء فيها ولا جدال حولها، حتى حار في نظمه -وإلى الآن- فحول علماء العربية والبيان.

ولهذا أقبل المسلمون على القرآن الكريم بشغف ولهفة منذ صدر الإسلام يحفظونه عن ظهر قلب، ويتدبرون آياته، ويتفهمون معانيه، وعكف العلماء على تبيان معاني غريب مفرداته، ووضعوا فهارس ومعاجم لألفاظه، وكتبوا في تفسيره وبلاغته وإعجازه. ولا تزال مسيرة التأليف والتنقيب عن درره، والبحث عن كنوزه في هذا المجال مستمرة حتى أيامنا هذه لأنها مجال خصب (Futuh 2017, 172) بمعنى الكلمة إلى جانب أن للقرآن موضوع العناية الكبرى (As-Shiddieq 2017, 361) منذ نزوله؛ ولأن كلمات الله -تعالى- لا تنفد معانيها، وسيظل الإنسان يجد في آياته معينًا لا ينضب لبحثه وفكره وعقله وحياته.

ومن الدراسات التي تناولت فرائد الألفاظ بشكل عام بحث بعنوان: مفاريد الألفاظ في القرآن (دراسة لغوية). أراد الباحث في هذه الرسالة تسليط الضوء على بعض القضايا والمسائل اللغوية من صوتية وصرفية ودلالية في هذه المفاريد القرآنية. وحدد لنفسه المنهج الوصفي لتتبع مثل هذه المسائل، وقسّم بحثه إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة ثم فهارس فنية متنوعة. ومما تقدم نلاحظ أن هذه الدراسة تناولت الفرائد دراسة صوتية وصرفية ومعجمية بحتة بعيدة كل البعد عن الدراسة الفنية الجمالية في إطار سياقها كما أبان هو عن منهجه في مقدمة رسالته، وقد أوصى الباحث في خاتمتها بدراسة الفرائد من الناحية البلاغية الجمالية، فضلاً عن أنه لم يتعرض عن أسرار تفردها في مكانها كما هو متوقع لهذا البحث. إضافة إلى ذلك لم يتعرض لكل الفرائد في دراسته اللغوية بل كان يكتفي - في الأعم الأغلب - بذكر نماذج للتوضيح والتطبيق. ولكن هناك جزءا متعلقا بهذه الدراسة التي نحن بصددها وهي معاني هذه الفرائد وما ورد عنها في المعاجم القديمة والحديثة، وعليه فإنه يمكن الاستفادة منه في طريقة تتبع الفريدة في المعاجم القديمة والحديثة. وكذلك يمكن الاستفادة منها في معرفة الدلالات اللغوية للفرائد والتي من الممكن أن تفتح الباب لهذا البحث عن سر تفردها والذي يتسق مع المعنى الكلي للسورة، والهدف المقصود من الآية.

ومن الباحثين للفرائد والمهتمين بها باسل البسومي؛ حتى إنه خصص لها معجماً وسِمه بمعجم الفرائد القرآنية. ويقوم جُلُّ هذا البحث على رصد المفردات القرآنية، والعمل على استخراج معانيها من المعاجم اللغوية، وكتب التفسير التي تتميّز بالتركيز على الجانب اللغوي، وفي حالات الاستشكال كان يقوم بالاطّلاع على مزيد من المراجع. ويعتمد الباحث في هذا العمل - كما ذكر في مقدمته - على ركنين أساسيين هما: الركن الأول: إحصاء الألفاظ القرآنية التي لم تتكرر إلا مرة واحدة فقط، ولم يشتق من جذرها اللغوي سواها. الركن الثاني: دراسة كل لفظة من هذه الألفاظ، وإعطاء المعنى اللغوي للكلمة، وما ترجح لدينا من المعاني التي يقتضيها السياق القرآني.

وكما لوحظ أن الدراسة معجمية بحتة فلقد قام فيها الباحث برصد الفرائد، وجمعها في كتاب واحد، وعمل على استخراج معانيها من المعاجم اللغوية القديمة، وكتب التفسير التي تتميز بالتركيز على الجانب اللغوي.

ومن الذين لفت نظرهم ألفاظ الفرائد ولكنه لم يسمّها باسمها الذي اصطلح عليه القدماء والمحدثون الباحث: عاطف المليجي في كُتَيِّبِه الموسوم بالألفاظ الوحيدة في القرآن وسر إعجازها. وهذه الدراسة عبارة عن كتيب صغير، ذكر فيه الباحث أكثر فرائد القرآن حوالي (371) فريدة، كل فريدة مصحوبة بذكر معناها المعجمي بإيجاز شديد. والملاحظ أن هذه الدراسة لم تتطرق لأي لمحة جمالية بيانية أو نكتة بلاغية خاصة بالفرائد.

ومن الذين اهتموا بالفرائد حديثاً سارة العتيبي التي أعدّت رسالة لنيل الدكتوراه والموسومة ببلاغة الفرائد القرآنية. أرادت الباحثة بهذه الرسالة أن تسهم في إثراء المكتبة القرآنية ببحوث بلاغية ذات صلة يالقرآن الكريم. وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة. وأنهت بحثها بخاتمة أثبتت فيها جملة من النتائج منها: أن الفرائد اشتلمت على جميع علوم البلاغة من بيان وبديع ومعان، إضافة إلى أن الفرائد تميزت بدقة الاختيار، وأنها تنم عن سمات فنية متنوعة. ويحمد للباحثة أنها أردفت رسالتها بفهارس تمكن القاريء من سهولة الوصول إلى ما يريد. ومن خلال هذا العرض تبين أنه بحث ثرّ

يمكن الاستفادة منه فيما يتعلق بطريقة التحليلات البلاغية للفريدة وما انطوت عليه من جمال وحسن بديعي أو بياني أو معنوي. والملاحظ أن ثمت فروقاً بين ما قامت به في بحثها وبين هذه الدراسة - برغم ما اتفقا عليه من الدراسة البلاغية للفرائد.

ومن الدارسين للفرائد أيضاً الباحث:كمال عبد العزيز إبراهيم في كتاب له وسِمه ببلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم "المضارع نموذجاً". فهذه الدراسة – كما أشار مؤلفها في المقدمة - تسلط الضوء على الفعل المضارع الفذّ فتدرسه في سياقه وتتلمس بلاغة تفرده وعدم تكراره. وهذه الدراسة تختلف مع سيقوم به هذا البحث منهجاً وموضوعاً ونماذج تطبيقية.

ومن البحوث ذات الصلة بهذا الميدان بحث بعنوان: الظواهر اللغوية في معجم الفرائد القرآنية للباحثة هديل رعد. لقد تناولت الباحثة الظواهر اللغوية التي وردت في كتاب (معجم الفرائد القرآنية)، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول عن ظاهرة الترادف، وتتبعت بشكل مختصر نشأة الترادف وأسبابه وأقوال العلماء فيه قديما وحديثا، واختارت عشر فرائد من المعجم والتي وقع فيها ترادف. وعليه فقد اختلفت الدراستان في المنهج والشواهد.

ومن الدراسات التي تناولت الفرائد بشكل مباشر، الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية. قصد الباحث في هذه الدراسة التنقيب عن الأسرار البلاغية التي تنطوي عليها الفرائد القرآنية، ولكنه اقتصر على الفرائد التي وردت في القصص القرآني، وعلل هذا في مقدمة البحث بقوله: " لأنها من الغزارة والكثرة بمكان ". وعلى هذا فالمدقق في بحثه يجده اختلف مع هذه الدراسة موضوعا ومادةً، وقد اقتصر فقط على الفرائد الواردة في القصص القرآني عامة مثل: قصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب القرية، وقصة الفيل، وقصة قابيل وهابيل، وفي قصص الأنبياء خاصة.

وسيختص هذا البحث بما يتعلق بالإعجاز البلاغي واللغوي، والذي يستحق أن نقف عنده مبجِّلين ومسبحين بحمد بانيه وباريه. ليظل شاهدًا ثابتًا على وحدانية الله – عز وجل-. وسيقف هذا البحث على بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لم تتكرر في القرآن كله حتى إن جذرها لم يتكرر في أي سياق آخر في القرآن كله؛ لِيُثْبِتَ سر تفردها، والتي سُمِّيت بـــ(الفرائد)، وسيخص بالذكر فرائد الألفاظ التي تخص الحيوانات والحشرات.

**منهجية البحث**

والمنهج في هذا البحث هو المنهج التكاملي الذي يمزج بين المنهج التاريخي الذي يتتبع الظاهرة في أصل نشأتها، وأول من أطلقها واستعملها مرورًا بها عبر الأزمنة إلى ما استقرت عليه الآن، والمنهج التحليلي اللغوي والذي يفيد في تحليل الكلمات لغويًا لإدراك المعنى، ثم المنهج الوصفي الذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها، ثم بيان هذا التفرد، وآثاره البلاغية، وقيمته الجمالية، وسره البياني الذي يعتبر عملًا فنيًا خالصًا ينطوي تحت المنهج الفني.

**مفهوم الفرائد لغة واصطلاحا**

قبل الشروع في هذا البحث يحسن إلقاء الضوء على عنوانه حتى تتضح صورته فالفرائد في اللغة: جمع فريد وفريدة. والفريد هو: الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضا، الدر إذا نظم وفصل بغيره، والفريدة: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب في العقد، وهي أيضا: الجوهرة النفيسة، ويقال: استفرد الغواص هذه الدرة: أي لم يجد معها أخرى، وتقول: فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرَّد.

ومن المعنى اللغوي للفرائد نستخلص أنها: الشيء النفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديا كالذهب والدر، أو معنويا كالكلام الفريد المفصل.

وهذا المعنى اللغوي لا يبعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي للفرائد كما وردت في كتب البلاغة والأدب والنقد (ورد في عدة كتب بلاغية؛ منها: خزانة الأدب).

ونلحظ تعريفها الاصطلاحي عند أول من أورد مصطلح الفرائد ابن أبي الإصبع المصري (585ـ 654هـ) في كتابه (تحرير التحبير) تحت عنوان (باب الفرائد)، وذكر أن هذا الباب مختص بالفصاحة وحدد المصطلح بأنه (إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته؛ حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها) أي خسرانها وفقدانها.. ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري فمن ذلك قول أبي نواس:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد أشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفا

ويعلق ابن أبي الإصبع على ذلك بقوله: "إن لفظة أشرأب من الفرائد التي لا نظير لها في فصيح الكلام ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور".

ثم استشهد من القرآن بآيات كثيرة مصدرا لذلك بأن ما جاء في الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها. ومما استشهد به لفظ (خائنة) من قوله تعالى: **(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)** (غافر19) معلقا عليها بقوله: (وهذه الفريدة في هذه الآية أعجب من كل ما تقدم؛ فإن لفظة (خائنة) سهلة مستعمله كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها؛ فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها وقد استمر ابن أبي الإصبع على هذا النهج وهو يستشهد بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (إذا ذكر الصالحون فحيَّ هلا بعمر) فقد أشار إلى أن لفظة (حيَّ هلا) من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح.

ولا يخفى تأثر ابن أبي الإصْبَع هنا بنظرية النظم التي أرساها عبد القاهر الجرجاني الذي ينظر إلى الكلمة وحدها فلا يجد لها أي مزية ثم ينظر إليها وهي في النظم فيجدها قد اكتسبت من البلاغة والروعة حدًا كبيرًا.. ولكن يؤخذ على ابن أبي الإصْبَع تعميم الكلام والاحتكام إلى الذوق الشخصي دون بيان الأسرار البلاغية التي أكسبت الكلمة تفردها وقيمتها.. وهذا ما حاولت فعله في هذا البحث.

إذن الفرائد في القرآن تعني تلك الكلمات التي اكتسبت صفة الفردية بدايةً لكونها كلمات قرآنية انتظمت في سلك النظم القرآني البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقًا قويًا؛ بحيث لا يغني غيرها غناءها في موضعها وبحيث لو سقطت لعز على الفصحاء غرامتها

كما يقول ابن أبي الإصبع، ثم هي اكتسبت ثانيًا صفةً أخرى أكثر تخصيصًا وتقييدًا وهي كونها (فذة) أي متفردة لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة ولم تتكرر في أي سياق آخر رغم تشابه السياقات أحيانًا.

**الفرائد في التراث النقدي والبلاغي**

في هذا المبحث سنتتبع الفرائد تاريخيًا من خلال النقاد والبلاغيين الذين تناولوها في كتبهم، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن، وأيضًا من تناولها بمعناها ومدلولها المعروف الآن وسط البلاغيين، علنا نصل من خلال هذا كله إلي ماهية الفرائد عندهم، وكيفية تناولهم لها، وما الفرق بين ما طرحوه وما يطرحه البحث، وهل سنقدم رؤية جديدة من خلال هذا التناول -تختلف أو تتشابه مع رؤيتهم- الذي أحسب أنه سيحيط بها من خلال بنيتها وطريقة تركيبها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من كلمات، ثم من خلال سياقها، وما تفيضه على الجملة من ظلال نفسية أو صوتية أو بيانية، ثم أخيرًا إظهار إعجازها البلاغي.

**أولا: الفرائد عند النقاد والبلاغيين:**

وقد استقرأ البحث التراث النقدي والبلاغي للنقاد والبلاغيين المشهورين، ومن خلال استقراء كتبهم يمكننا ملاحظة ما يأتي:

**أولا**: لم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائمًا فيما يخص ألفاظ القرآن - في حال التعرض لها - أوصاف ثابتة لا تتغير عند أي عالم منهم وهي: الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو الذي سنحاول أن نطرقه في هذا البحث.

**ثانيًا**: انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف.. وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم، فضلاً عن مباحثها.

**ثالثًا:** كان تناولهم للقرآن، وإظهار إعجازه من خلال آيات المشاهد أو-إن شئت فقل- آيات الصور الكلية التي تحتوي على أحداث مختلفة في مشهد واحد، وعرض مترابط، كما في قوله تعالى: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** (هود: 44)، تناقلها الجميع، ومن تعرض للإعجاز ذكرها وما شاكلها بالشرح والتحليل، وهكذا.

**رابعًا:** حاول كثير منهم الانتصار للقرآن الكريم من خلال إثبات أنه يحتوي على كل علوم البلاغة من معان وبيان وبديع، فنًا فنا، حتى وصل الأمر إلى حد لَيّ عُنق الآية، أو تحميلها ما لا تطيق من أجل إثبات وجهة نظره، وفكرته التي طرحها، وحُكمه الذي اتخذه، وربما الأمر لا يتطلب ذلك التعسف، وتلك الشدة في التعامل مع آيات القرآن، ومع هذا! تُحمد له نيته الحسنة، ودفاعه عن القرآن، وحرصه على أنه ما فرَّط في شيء.

**خامسًا:** قرأنا غيرَ مرةٍ عند عدد غير قليل منهم في مقدمات كتبهم أسباب تأليفها، وكان منها إظهار وإثبات إعجاز القرآن في بلاغته وفصاحته، وبعد رحلة في تقليب صفحات الكتاب، ومرافقة ما خطه بيمينه، ينسحب البساط-دون أن يشعر- من تحت قدميه، مخالفًا ما قد قطعه على نفسه في المقدمة من معالجة قضية الإعجاز؛ فينشرح صدرك، ويسيل لعابك، لما ستقتنصه من صيد سمين، سيُشبع نَهَمَك، ويَشفي غُلَّتك، وشيئًا فشيئًا تجد الأمر على غير المتوقع، من تناول قضايا أخرى -لا أقلل من شأنها-، وتأتي الرياح بما لم تشتهِ السفن.

وهكذا لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلامًا صريحًا مباشرًا عن الفرائد القرآنية، اللهم إلَّا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة.

وهناك من الباحثين المحدثين من تناول الفرائد على النحو الذي نسير عليه في هذا البحث إلا أنه لم يقف على ما وقف عليه البحث من فرائد ، وإن تشابهت بعضها إلا أنه لم يكشف سر اختيارها في السياق، فضلا أنهم اكتفوا بتناول ما فيها من ظواهر لغوية ومعجمية

.

**فرائد ألفاظ الحيوانات والحشرات في القرآن**

**أولا: الضَّأْنِ وَالْمَاعِزِ**

وردا في قول الله تعالى: ( **ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** (سورة الأنعام، آية رقم: (143) وسياق الآية هو: الاحتجاج على المشركين فيما ادعوه من أن ما في بطون الأنعام حلال للذكور ومحرم على الإناث. يقول ابن فارس: "الضاد والهمزة والنون أصيل صحيح وهو بعض الأنعام، من ذلك الضأن يقال:أضأن الرجل إذا كثر ضأنه" (Faris 1991, 384)‘ "والضأن خلاف الماعز وهو من الغنم ذو الصوف ويوصف به فيقال كبش ضائن"(M. B. A. B. Ar-Razi 1910, 2153)‘ والماعز:يقول عنه ابن فارس:"الميم والعين والزاي:أصل صحيح يدل على شدة في الشيء وصلابة...ومنه المعز المعروف والمعيز جماعة كضئين، وذلك لشدة وصلابة فيها لا تكون في الضأن" (Faris 1991, 337).

والضأن والماعز من "الأصناف الأربعة وهي الأزواج الثمانية، التي قال الله عنها في سورة الأنعام: "ثمانية أزواج: من الضأن اثنين ومن المعز اثنين"و: (وَمِنَ الإِبِلِ اِثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اِثْنَيْنِ) (سورة الأنعام، آية رقم: (143 – 144). وهي ثمانية أزواج لأن كل صنف منها زوجان: ذكر وأنثى.. الإبل اثنان: جمل وناقة.. والبقر اثنان: ثور وبقرة.. والضأن اثنان: خروف ونعجة.. والمعز اثنان: تيس وعنزة.. فالمجموع ثمانية أزواج. وسميت هذه الأصناف الأربعة أنعاماً؛ لأن النعمة فيها ظاهرة من الله على الناس؛ ولأن الناس يستفيدون من كل ما يتصل بهذه الأنعام، من اللحم والشحم واللبن والجلد والصوف والروث والركوب والانتقال" (Syahkhsiyah Surah Al-An`am" 2011) ، وكلمة أنعام قريبة الشبه بلفظ إنعام وهو مصدر الفعل "أنعم"، وخَلْقُ الله لها فيه نوع من الإكرام والإنعام علينا. وقدّم الله الضأن لشهرتها عند العرب، وكان أكثر استعمالهم لها. "وبذكر الماعز والأغنام فى القرآن دلالة على أهمية هذه الحيوانات وبالفعل تتصف لحومها بالجودة كما تتصف بمقدرتها على التأقلم والمعيشة فى الأراضى الصحراوية والمناطق الفقيرة من مصادر الغذاء الجيد، وقدرتها على تسلق الجبال للبحث عن غذائها، وقدرتها العالية على هضم الأغذية الفقيرة والمحتوية على

نسب عاليه من السليولوز والتى تتمثل فى مخلفات المحاصيل الزراعية ومخلفات الشوارع، كما تتميز بسهولة رعايتها وإيواءها، كما أن الأغنام- أيضًا- مُقَاوِمَة للأمراض شأنها في ذلك شأن الحيوانات البرية نتيجة النظام المفتوح للتربية بالمراعي. ويعتبر الماعز والأغنام أعلى فى معدل الكفاءة الاقتصادية وتتفوق على الحيوانات الأخرى لكونها حيوانات ثنائية الغرض لإنتاج اللحم واللبن، وتعتبر أكفأ فى معدل إنتاج اللبن بالمقارنة بالأبقار مع الأخذ فى الاعتبار حجم الماعز وحجم البقرة فهى تعتبر بقرة الفقير فى البلاد النامية. ولحوم الأغنام والماعز من أحسن اللحوم في الطعم والقابلية للهضم، هذا بالإضافة إلي أن صغر حجم الوحدة فيها يجعلها مرغوبة للاستهلاك الأسري وخاصة في المناسبات"(An-Najjar 2012). فاختير اللفظ لمقتضى مناسبته هنا؛ فالضأن والماعز مما يمتلك العرب من ثروة، فالوضع اقتضاها لهذا الغرض.

**ثانيا: البِغَالَ**

ورد في قوله تعالى: **(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** (سورة النحل، آية رقم:(8). والآية في الحديث عن نعم الله على الإنسان بخلقه دواب الركوب وحمل الأثقال. يقول ابن فارس: الباء والغين واللام: "يدل على قوة في الجسم، من ذلك البغل" (Faris 1991, 271)، والبغل واحد البغال التي تركب والأنثى بغلة، والبغل: هذا الحيوان السَّحَّاح الذي يركب، وهو المولد من بين الحمار والفرس" (M. B. A. B. Ar-Razi 1910, 1636)، وإن ذكْر البغال كنوع من دواب الركوب والحمل في القرآن الكريم هي أحد مظاهر الإعجاز القرآني فيما أتبعه في سرد هذه الأنواع الثلاثة من الحيوانات: " الخيل، والبغال والحمير، وترتيب ورودها في الآية الكريمة دليل على إحكام آيات القرآن وتأتي المفاضلة بينها حسب ترتيبها (As-Shiddieq 2017) في الآية الكريمة، ولهذا مغزى يتطلب منا دقة تأمل وتدبر؛ لأنه لا مبدل لكلماته - جلّ شأنه -، وقد ذكرت البغال في موضع معين في الجملة يسبقها اسم الخيل ويعقبها الحمير، وإذا ما رجعنا إلى الحقائق العلمية لتعرفنا على مغزى هذا الترتيب في ذكر الأسماء وترتيبها على هذا النحو: فالبغل حيوان عقيم لا يلد ولا ينجب ولا يتناسل بل يتوالد من تزاوج الحصان والحمار، وهو تَوالدٌ قد يكون في الطبيعة، ويتأتى من تدبير الإنسان، لكنّه في جميع الأحوال هو خلق من نوع يختلف عن توالد وتناسل بقية أنواع الحيوان التي تتوالد من بني جنسها. وذَكَرَ - تعالى- البغال بين هذين النوعين من الحيوان اللذين ينجبانه، وهو الفرس من ناحية والحمار من ناحية أخرى، أي أنه يرد في الجملة بموقع يتوسط طرفي توالده وأسباب وجوده؛ لأنها ليست جنساً بل تأتي من جنسين مختلفين" (As-Sya`rawi n.d.,4851). والبغال تتميز بأنها تجمع ما بين قوة الخيل وتحمُّل الحمير وقدرتها على تحمل المشاق، وحينما ذكرت الخيل والبغال والحمير في الآية الكريمة ذكرت الغاية من خلقها وهي الركوب والزينة، لكنّ الآية الكريمة التي تسبقها في سورة النحل تلقي المزيد من الضوء على الحكمة الإلهية من خلق هذه الحيوانات الثلاثة وأسباب ذكرها فيما خلقه تعالى من نِعَم، ونجد أنّ حمل الأثقال يرد في المقام الأول باعتبارها من حيوانات الحمل التي خُلقت لتخفف عن الإنسان مشاق ومتاعب حمل الأمتعة والبضائع تخفيفاً من الله تعالى ورأفةً ورحمةً. وعليه تبين لنا سبب تفردها هنا في هذا السياق الذي لم يكرر في القرآن.

**ثالثا: الفيل**

ورد في قوله تعالى: **( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)** (سورة الفيل، آية رقم:(1). وسياق الآية هو: الحديث عن أبرهة وجيشه وما فعل الله بهم في أطراف مكة. والفيلُ: "هو هذا الحيوان الضخم المعروف، صاحب خرطوم طويل، يرفع به العلف والماء إلى فمه، ويضرب به، وهو: حيوان عظيم من ذوات الأربع ذواتِ الخف، من حيوان البلاد الحارة ذات الأنهار من الهند والصين والحبشة والسودان، ولا يوجد في غير ذلك إلا مجلوباً، وهو ذكي قابل للتأنس والتربية، ضخم الجثة أضخم من البعير، وأعلى منه بقليل وأكثر لحماً وأكبر بطناً"(Al-Basumi 2001, 40).

وقصة ذلك الفيل "هي أن الحبشة احتلت اليمن فترة من الزمن، وكان الحبشة من النصارى، ولما رأى حاكم اليمن الحبشي (واسمه أبرهة) تعلق العرب بالكعبة أراد أن يصرفهم عنها. فبنى كنيسة عظيمة، ودعا العرب إلى الحج إليها وزيارتها، بدلا من زيارة الكعبة. فكره العرب ذلك، ودخل بعضهم البناء وأحدث فيه. وقيل إن بعضهم حاول إحراقه. فأقسم أبرهة على أن يهدم الكعبة رداً على هذه الإساءة. وسار بجيش عظيم يتقدمه فيل عظيم"(Al-Jazairi 1990, 6606). والتعريف في الفيل للعهد، وهو فيل أبرهة قائد الجيش، والكلمة هنا لم يغن غيرها؛ لأن أبرهة اصطحب معه ذلك الفيل وليس شيئاً آخر من الحيوانات.

**رابعا: الوُحُوش**

ورد في قوله تعالى: **( وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ )** (سورة التكوير، آية رقم:( 5). وسياق الآية هو:الحديث عن علامات الساعة ومنها جمع وحشر جميع الحيوانات كلها في صعيد واحد.

والوَحْش: " هو حيوان البر الذي لا خلطة له بالإنس ولا أُنس له، وجمعه وحوش، وأوحش المنزل أي أقفر وذهب عنه الناس"(Al-Basumi 2001, 53). والوحش: حيوان البر مما لا يستأنس، والآية في علامات الساعة؛ حيث تحشر جميع المخلوقات بما فيها الوحوش، قيل: ليعوضها الله عن آلامها التي تعرضت لها في الدنيا، وقيل: حشرها ليقتص للجماء من القرناء، وقيل: وقتها قد يُبْقِيها الله سروراً لبني آدم وإعجاباً بصورتها، وقد أشار بعضهم في هذا إلى ملحظ مؤداه: أن هذه الحيوانات كانت في الدنيا تفر في الأرض من الإنسان فصارت منضمة إليه في ذلك اليوم من أهواله"(Al-Andalusi n.d., 415). وحَشرها:جمعها في مكان واحد، أي مكان من الأرض عند اقتراب فناء العالم فقد يكون سبب حشرها طوفاناً يغمر الأرض من فيضان البحار فكلما غمر جزءاً من الأرض فرت وحوشه حتى تجتمع في مكان واحد طالبة النجاة من الهلاك، ويُشعر بهذا عطْف{ وإذا البحار سُجرت } عليه.

ولعله ذكر هذا بالنسبة إلى الوحوش " إيماء إلى شدة الهول فالوحوش التي من طبعها نفرة بعضها عن بعض تتجمع في مكان واحد لا يعدو شيءٌ منها على الآخر من شدة الرعب، فهي ذاهلة عما في طبعها من الاعتداء والافتراس، وليس هذا الحشرَ الذي يُحشَر الناس به للحساب بل هذا حشر في الدنيا وهو المناسب لما عدّ معه من الأشراط " (Ashur 1984, 197).

وبناء الفعل (حشرت) للمفعول يوحي بالرعب والتفكير في كيفية جمعها وبأي طريقة، فمثل هذه الوحوش المفترسة التي لا يقوى عليها شيء ليس من شأنها أن تنقاد، فمن

المؤكد أن هناك قوة قادرة وفاعلة هي المسئولة عن ذلك، وحشرت أي: "جمعت من كل جانب واختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن بعض وعن الناس أيضا وتفرقها فى الصحارى والقفار، وذلك الجمع من هول ذلك اليوم وقيل بعثت للقصاص إظهارًا للعدل قال قتادة:يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبنى آدم وإعجاب بصوته أو صورته كالطاووس والبلبل ونحوهما، فإذا بعثت الحيوانات للقصاص تحقيقًا لمقتضى العدل... وفيه إشارة الى القوى البشرية الطبيعية النافرة عن جناب الحق وباب القدس بأن أهلكت وأفنيت وجمعت إلى ما منه بدت"(Haqqi n.d., 33). والآية تشي بمشهد الانقلاب التام لكل معهود، والثورة الشاملة لكل موجود. الانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية، والوحوش كنموذج لهذا الانقلاب، وأن تحشر معاً مع اختلاف أنواعها فهذا بسبب ما تراه من رعب وفزع، والغرض من ذكر قصة الوحوش ههنا وجوه: " أحدها أنه - تعالى- إذا كان يوم القيامة يحشر كل الحيوانات إظهارًا للعدل فكيف يجوز مع هذا أن لا يحشر المكلفين من الإنس والجن. الثاني: أنها تجتمع في موقف القيامة مع شدة نفرتها عن الناس في الدنيا وتبددها في الصحاري فدل هذا على أن اجتماعها إلى الناس ليس إلا من هول ذلك اليوم. والثالث: أن هذه الحيوانات بعضها غذاء للبعض ثم إنها في ذلك اليوم لا تجتمع ولا يتعرض بعضها لبعض وما ذاك إلا لشدة هول ذلك اليوم، وفي الآية قول آخر لابن عباس وهو أن حشر الوحوش عبارة عن موتها يقال - إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم - حشرتهم السنة وقُريء حشرت بالتشديد" (F. B. U. B. A.-H. Ar-Razi 2004, 62). وعليه فقد تفردت هنا في سياقها ولم يغن غيرها مكانها.

ومن الجمال في الآيات أنها بدأت بمشهد علوي من الشمس وتكويرها والنجوم وانكدارها، ثم بمشهد سفلي من الجبال وسيرها، والعشار وتعطيلها، والوحوش وحشرها، والبحار وتسجيرها، والنفوس وتزويجها، والمؤودة وسؤالها، ثم صعوداً مرة أخرى بمشهد علوي إلى الصحف ونشرها، والسماء وكشطها، والجحيم وسعيرها والجنة وقربها، وهكذا وكأن هناك تناسق بين هذا الترتيب وما يحدث من أحداث يوم القيامة تبدأ من السماء بالنفخ ثم الانشقاق والتكوير والانكدار ثم ينعكس هذا المشهد على الأرض من تفجير وتسجير وزلازل ومواقف الأحياء منه من إنسان وحيوان وعرض وحشر، ثم بعد الأهوال يكون الحساب والجزاء ثم المصير إلى جنة أو نار وهذا بدوره يكون في السماء مرة أخرى، ولله در التعبير القرآني!وسبحان العليم الخبير.

**الخاتمة**

وبعد الوصول إلى نهاية المطاف توصل البحث إلى جملة من النتائج وهي:

1. بعد هذا الطواف حول الأسرار البلاغية لألفاظ الحيوانات والحشرات الفريدة في القرآن الكريم ، يتضح لنا أن العامل الأهم والأغلب وراء هذا التفرد هو سياق كل فريدة أو مقامها الذي يقتضى مجيء هذا اللفظ دون غيره.
2. فرائد أسماء الحيوانات والحشرات التي وردت في القرآن الكريم، هي: ( الضأن - الماعز - البغال - الضفادع - القمل - بعوضة - عنكبوت – الفيل - الوحوش). رغم أن هناك الكثير من أسماء الحيوانات والحشرات الأخرى؛ ولكننا هنا لم نقف إلا على

تلك التي لم تتكرر ولم يتكرر جذرها وفقا لإجراءات المنهج العلمي الذي ارتضاه البحث ابتداء.

3. القرآن الكريم كنز أسرار لا ينفد وحين تتفتح للباحث المتأمل كوة النور فإنه يرى عالما من الإيحاءات وظلال المعاني التي تساعده في معرفة الأسرار البلاغية للقرآن الكريم.
4. انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف....وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن وبلاغته –إلا القليل- فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم.
5. جاءت الفرائد عند من تناولها بما نقصده في هذا البحث، جزئية، أومقصورة على بعض الألفاظ دون تقسيم أو تحديد لها وذكرها على سبيل المثال فقط، وإن كان فمن جهة اللغة والغرابة والاقتدار والإعجاز، ولم يشرع أحد في تحليلها بالشكل الذي يأتي عليه هذا البحث اللهم إلا دراسة واحدة ولكنها تناولت المضارع، وهنا تناولنا الماضي.
6. أسهمت الفريدة القرآنية في تبيين جمال الصورة البيانية، فكانت عنصرًا مهمًا من عناصر الجمال فيه.
7. إن معرفة السياق ودراسة الفريدة من خلاله، وكذا الفرق اللغوي لهما أصدق مقياسين لتحديد تفرد الفريدة.
8. لكل لفظ في القرآن قصد محقق، وهدف مقصود في سياقها الخاص بها على وجه الإعجاز والتحدي، ولا سبيل لوقوع لفظة مكان أخرى تترادف معها، أو حتى تتبادل موقعها، وهذا ما يأباه الكلام المعجز؛ لأن كل حرف فيه مقصود لسمة تعبيرية أو معنى محدد.
9. الفرائد القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة فلا يمكن أن يرادف لفظٌ لفظًا آخر فيتساوى معه في المعنى تمام المساواة، بل إن الكلمة ذاتها لتتكرر في أكثر من سياق لتدلّ على معنى آخر مغاير في كل سياق، فإذا نظرنا إلى دلالة الكلمة المختارة في ظل تقديمها أدّى ذلك إلى إبراز المعنى في قوّة وجلاء، وساعد على تصوير المشهد في تدفّق وحياة.

**الخلاصة**

لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلامًا صريحًا مباشرًا عن الفرائد القرآنية، اللهم إلَّا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة، ولم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائمًا فيما يخص ألفاظ القرآن –في حال التعرض لها- أوصاف ثابتة لا تتغير عند أي عالم منهم وهي: الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو.

## References

Al-Andalusi, Abu Hayyan Muhammad Bin Yusuf. n.d. *Al-Bahru Al-Muhith*. 2nd ed. Beirut, Lebanon: Daar Al-Fikr.

Al-Basumi, Basim Said. 2001. *Mu`jam Al-Faraidh Al-Qur`aniyah*. Palestina: Markaz Nun Liddirasat.

Al-Jazairi, Abu Bakar Jaber. 1990. *Aysaru At-Tafasir Likalam Al-Ali Al-Kabir*. 3rd ed. Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia: Rasim Li Ad-Diayah Wal I`lan.

Ali, Zawari Ahmad. 2021. "The Proportionality and Its Role in Textual Coherence Through The Quranic Stories." *Al-Mumarasat AA-Lughawiyah* 12, no. 2: 9–28. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/154268.

An-Najjar, Zaghlul. n.d. *Al-I`jaz Al-Ilmi Fi Al-Quran Al-Karim*. Mesir: Maktabah Al-Syuruq Ad-Dauliyah.

———. 2008. "Min Asrar Al-Quran Al-Karim." Majallah An-Najah. 2008.

———. 2012. "Al-Hayawanat Fil Quran Al-Karim." Mauqi` Al-I`jaz Al-Ilmi Fi Al-Quran Al-Karim. 2012. www.ijaaz.com.

Ar-Razi, Fakhruddin Bin Umar Bin Al-Husein. 2004. *Mafatih Al-Ghaib*. Beirut, Lebanon: Daar Shader.

Ar-Razi, Muhammad Bin Abi Bakar. 1910. *Muhkhtar As-Shihah*. 2nd ed. Mesir: Al-Amiriyah.

As-Shiddieq, Haji. 2017. "Min Asrar Diqqah Al-Lafzh Wajamalituhu Fi An-Nasq Al-Qurani: Dirasah Fi Balaghati Al-Kalimah Wadilalatuha Fi Dhaui An-Namazij Al-Quraniyah." *Revue Des Sciences Humaines* 28, no. 3: 361–71. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/89287.

As-Sya`rawi, Muhammad Mutawalli. n.d. *Tafsir As-Sya`rawi*. Al-Qohirah: Daar Akbar Al-Yaum.

Ashur, Muhammad At-Thahir Bin. 1984. *At-Tahrir Wattanwir*. Tunisia: Ad-Daar At-Tunisiyah.

Faris, Ibnu. 1991. *Maqayis Al-Lughah*. Edited by Abdussalam Harun. Mesir: Daar Al-Jail.

Futuh, Mahamud. 2017. "Al-Uslub Al-Qurani Wamusthalahutu Min Manzur Al-Asy`ari Abi Bakar Al-Biqalani." *At-Ta`limiyah* 7, no. 2: 172–78. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/27533.

Haqqi, Ismail. n.d. *Ruh Al-Bayan Fi Tafsir Al-Quran (Tafsir Haqqi)*. Beirut, Lebanon: Mathba`ah Al-A`mirah.

Makhluf, Yahya Bin. 2016. "Min Jamaliyat Al-Uslub Al-Qurani." *Al-Ihya`* 16, no. 1: 211–28. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/10431.

"Syahkhsiyah Surah Al-An`am." 2011. Mntada Startimes. 2011. www.startimes.com/f.aspx?=31407280.